الفصل الرابع
دور الآباء والأمهات
فى دعم المنهج المدرسى للأطفال

يتناول هذا الفصل : دور الآباء والأمهات فى دعم المنهج المدرسى من الناحية الإسلامية من حيث صعوبة هذه التربية ودواعى الاهتمام بها ، وتميزها ، ودوافعها ومسئولية الآباء والأمهات تجاه هذه التربية ، ثم أبرز هذه الأدوار .

وفيما يلى بيان لهذه الجوانب :

١ – مفهوم الدور :

يبدو أن للدور استخدامات مختلفة . منها الدور التربوى ، فقد يقصد به مجموعة الأنماط السلوكية التى يتخذها الفرد، أو المؤسسة التربوية تجاه موقف ما، وفى إطار نسق اجتماعى محدد. وقد يقصد به المظهر المتنامى للمكانة. فالسير على الحقوق والواجبات معناه القيام بالدور على اعتبار أن المكانة هى مجموعة الحقوق والواجبات. ويقصد به هنا مجموعة الانطباعات التى يخرج بها المتعلم من خلال احتكاكه بالمنهج المدرسى قبولا ، وتعامله مع المدرس تفاعلا ، واستيعابه للمواقف التى تحيط به ملاحظا .

٢ – أسباب صعوبة تربية الأولاد :

تزايدت مسئولية الآباء والأمهات إزاء تربية أولادهم بمرور الزمن ، وزيادة التقدم العلمى والتكنولوجى، وتوافر وسائل الراحة والرفاهية، وكثرة الأجهزة السمعية والبصرية التى تلاحق حواس الإنسان منذ ولادته. فقد انتهى العصر الذى كانت تربية الأولاد فيه تكاد تنحصر فى تحفيظهم القرآن الكريم، أو شيئا منه، وكذا اطلاعهم على بعض الأحاديث النبوية وبعض ما كتب السلف الصالح فى مجال الدين، وكانت الكلمة المسموعة ، أو المقروءة مسيطرا عليها بحيث لا يصل إلى أذن الطفل، أو لا تقع عينيه إلا ما كان متوافقا مع دينه.

ومن هنا فإن مسئولية الآباء والأمهات فى ذلك الوقت كانت محدودة ، أما اليوم فإن المسئولية فى تربية الأبناء مسئولية كبيرة ، ومتشعبة ، بل لا يمكن السيطرة عليها بسهولة.

ولعل من الأسباب التى تجعل من تربية الأولاد عملية صعبة ما يلى :

أ – أن الطفل البشرى مخلوق عاقل ، له القدرة على اختيار البديلات ، من الإيمان أو الكفر ومن الحسن أو القبح ، ومن الخير أو الشر ... الخ . كما أن لديه من الأساليب والحيل ما يحقق له ، ولنفسه الرغبة التى يريدها ، حتى لو كانت مخالفة للمألوف من التربية ومتعارضة مع ما يراه الوالدان ، أو متعارضة مع ما يراه الدين.

ب – أن المخلوق البشرى مكلف من قبل الله سبحانه وتعالى بحمل الأمانة ، انطلاقا من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ (الأحزاب : ٧٢) مثله فى ذلك مثل الأب والأم تماما بتمام . ومسئولياتهما أن يهيئا طفليهما لحمل هذه الأمانة، إذ الأبوة، والأمومة فى بنى البشر ليست مقصورة على عملية الإنجاب فقط، إذ هى عملية مشتركة بين الكائنات الحية، وإنما يمتد عمل الأب والأم إلى التربية والتأديب حتى مرحلة البلوغ وبعدها بالمراجعة والنصح.

جـ - إن حب الآباء للأبناء، والعاطفة القوية إزاءهم، والتى ليست محل شك أو مساومة – قد تجعل بعض الآباء يميلون إلى التجاوز عن شرع الله فى تربية أولادهم، ويقدمون العذر لأنفسهم تجاه ما يفعلون مرة، ومرات، حبا فى إرضاء أبنائهم ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (التغابن : ١٥) ، وعدم التضييق عليهم، على اعتبار أن سعادة الأبناء يحب الآباء استشعارها ، ورؤيتها فى الأبناء.

د – أن الضغوط الواقعة على الطفل منذ ولادته كثيرة ومتعددة. بدءا من وسائل الإعلام إلى الحضانة، ثم المدرسة، والمجتمع. وهذه الضغوط فيها الخبرات المربية وغير المربية، ويعنى بالمربية هنا كل ما يتفق مع مبادئ الإسلام وروحه.

ولا شك أن المدرسة تؤدى دورا أساسيا و فعالا فى تربية الأبناء منذ التحاقهم بها. وجوهر المدرسة - فى الغالب - منهج مدرسى، لا بمعنى المادة المكتوبة فقط، وإنما بمعناه المسموع، والمقروء، و المسلكى مترجما فى سلوك أفراد المدرسة، ومن كل المتعاملين معها. وبمعنى آخر هو محصلة كل الخبرات التى مر بها التلميذ، على اختلاف مصادرها من المعلم والكتاب، والزملاء، والنشاط المدرسى، والقراءات الخارجية ، وما يصل إليه من وسائل الإعلام المختلفة.

ولما كانت عملية التربية ليست حكرا على جماعة ، أو فئة أو مؤسسة دون غيرها -

فإنه - مع ذلك - يبرز دور الآباء والأمهات جنبا إلى جنب مع دور المدرسة فى إعداد الأبناء إلى الحياة، وتربيتهم تربية تتفق مع ما يسود المجتمع من قيم وآداب إسلامية، من خلال ما تقدمه المدرسة من منهج دراسى بمعناه المتعارف عليه بين المتخصصين.

والطفولة هى جمال الحاضر، وشباب المستقبل، وخبرة الشيوخ السليمة فيما بعد، وهى - أى الطفولة - أمل الوطن والمواطن وسنده، فهم صناع الحضارة وعظماء التاريخ، ورواد العلم، و أداة التقدم. وبمقدار التربية السليمة المقدمة إلى تلك الطفولة، وهضمها وتمثلها والسلوك بمقتضاها يرقى المجتمع وينمو .

والآباء والأمهات هم مصدر توجيه رئيسى لهؤلاء الأطفال ، والوسيلة الأولى لبناء القيم لديهم، و" كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه "، وبمقدار الجهد المبذول فى تربيتهم والحرص على توعيتهم، والاهتمام بتوجيههم على ضوء من الكتاب والسنة، بمقدار ما يصبح هؤلاء الأطفال رصيدا قويا لأنفسهم ولدينهم ولأمتهم. وبمقدار التراخى والضعف فى أداء تلك الرسالة، بمقدار ما يزيد الخلل فى شخصيتهم ويصبحون نقطة ضعف كبيرة فى مجتمعهم .

وليس المسلمون بدعا فى هذا المجال حيث يربى المرء على دينه ، ويعرف - على الأقل - الأمور الجوهرية فيه . يصف أحمد الماوردى - وهو باكستانى - زيارة البابا جون بول الثانى لأمريكا عام ١٩٧٩ ، وبعد أن يصف الحفاوة التى قوبل بها يقول : " بعد التبخير، بدأت الصلاة ، وقد دهشت من عدد الذين يحفظون الصلاة بين شباب نيويورك. ولو أجرى امتحان فى سورة الفاتحة بين شباب كراتشى ، أو القاهرة أو دمشق لسقطت الأغلبية الساحقة " .

والمتأمل فى الآيات القرآنية التى وردت فيها ذكر الوالدين يجد أنهما قد ذكر بعد الأمر بعبادة الله الواحد الأحد ﴿ وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ (النساء: ٣٦) ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ ﴾ (الإسراء : ٢٣) . ولعل السر فى ذلك أن الوالدين - وهما السبب المباشر فى وجود الطفل - عليهما مسئولية تذكير الطفل وتربيته وتنمية الولاء عنده بالموجد الأول وهو الله سبحانه . والمؤشر لذلك هو طول مدة الحضانة ، والتصاق الطفل بوالديه ، بما لا يمكنه الاعتماد على نفسه إلا بعد سنوات . الأمر الذى يتيح الفرصة للوالدين أن يراجعا نفسيهما تجاه ما قدماه

لطفليهما، وتجاه ما تقدمه المدرسة، خصوصا بعد تدخل يد الأمريكان فى المناهج الدراسية بدعوى التطور والتحديث ، وهى دعوة حق يراد بها باطل.

٣ – دواعى الاهتمام بدور الوالدين فى التربية الإسلامية :

ينبع الاهتمام بدور الوالدين فى التربية الإسلامية من الدواعى الآتية :

أ – أن من الأهداف المتوخاة من عملية تطوير التعليم بجميع مراحله " تأكيد الذاتية الثقافية العربية الإسلامية للشخصية المسلمة ، من حيث إنها شرط لتأكيد النسيج الاجتماعى والوطنى . والتعليم سلاح فعال فى تجسيد هذه الذاتية الثقافية ، وتنميتها ، و إبراز أصالتها ، لتدعيم وحدة المجتمع : كيانا وفكرا . والأسرة شريكة فى القيام بهذا الدور.

ب – أن بعض الآباء والأمهات قد يتصوروا أنهم بمجرد أن يلتحق أبناؤهم بالمدرسة أصبحت مسئولة عنهم من حيث التعليم والتربية ، وأن دورهم أصبح أمرا ثانويا . وقد يزداد هذا الفهم قوة ورسوخا حين تكون المدرسة مدرسة خاصة ، تقدم الخدمة التعليمية والتربوية نظير ما يدفع لها من مبالغ عالية ، بل يتراجع دور الآباء فى التربية إذا ما كانت هذه المدرسة مدرسة داخلية ، تتولى إعاشة التلميذ وتربيته . وعلى قدر ما يدفع الآباء تكون التربية . مثلها فى ذلك مثل أى سلعة ، تسعر بمقدار جودتها.

حـ – أن التعاون بين البيت والمدرسة أصبح أمرا ضروريا لصالح الأبناء، وأضحى قيام طرف واحد بدون الآخر بهذه المسئولية عملية مستحيلة – مع وضع أطراف أخرى كالنادى، أو جماعة الرفاق... الخ فى الاعتبار – وذلك لأن الدفء الحقيقى والرعاية الحقيقية مكانهما البيت.

د – أن كثرة التيارات التى تقع على الشباب، والمطالب المادية المحضة ربما تؤثر عليهم، أو تستهويهم. وتربية الطفل من والدين مدركين هذه الأبعاد، ربما تحميه فيما بعد من الخطأ، وتعطيه قوة المقاومة، وعدم الاستسلام، لأن الخلفية الخبرية للإنسان لها دورها على سلوكه، و تأثيرها على توجهاته. وحصانة الانتماء عملية مطلوبة، تشعر الوالدين بالراحة والرضا.

٤ – تميز التربية الإسلامية :

يرى الإسلام أن تربية الأولاد مسئولية الآباء والأمهات بالدرجة الأولى، بل هى فريضة دينية، ورغم أن التربية بصفة عامة لها قوانينها المتعددة والمتشعبة بتعدد المواقف

الإنسانية وتشعبها ، حيث توجد التربية السياسية ، والتربية الاقتصادية ، والتربية النفسية ... الخ . إلا أن التربية الإسلامية أو الدينية هى الأساس لكل جانب من هذه الجوانب وغيرها ، بل هى المنطلق لكل جوانب الحياة . وبهذا المعنى تقف التربية الإسلامية على رأس كل تربية بعيدا عن التعصب أو التحيز للأسباب الآتية :

أ – أن التربية السياسية - مثلا - رغم إعداد المؤسسات والمعاهد القومية من حيث الطاقات البشرية المؤهلة والإمكانات المادية - عجزت عن تربية أفرادها وتحقيق الهدف منها، بضمان الولاء الحزبى الكامل لها بشكل مقبول، لأن المنتمين لها أرادوها وفى أذهانهم مكسب معين. فإذا ما تحقق هذا الكسب، استمروا فى عملهم، وأدوارهم بإتقان وجودة. أما إذا تغير المناخ، فسرعان ما يقلبون شخصيتهم، ويغيرون اتجاهاتهم تبعا للتيار السائد. وقد تحدد الأسرة الواحدة - فى التربية السياسية - أدوار أفرادها ليظل زمام المنفعة بأيديهم حتى إذا ما ضاعت تلك المنفعة من يد واحد منها انتهت إلى الآخر . وتربية بهذا الشكل لا تسمى تربية ، وإنما هى إعداد لموقف ما. والمكسب فيها هو الأساس: قد يكون الوظيفة، أو الشهرة ، أو المكسب المادى، أو التسلق إلى السلطة ... الخ، وربما تجد القيم الفاضلة مكانا لها فى تلك التربية ، أو لا تجد.

ب – أن التربية الاقتصادية - وهى مطعمة بقيم المنفعة والمكسب والخسارة - تجعل الحياة سوقا للتجارة، وتنمى روح الأنانية لدى الأفراد والجماعات، ما دامت المصالح موجودة . فإذا توافرت هذه المصلحة، راح الأفراد أو الجماعات يمارسون نشاطهم فيها بحرية كبيرة الكبير فيها يطغى على الصغير ، والغنى يستغل الفقير ، والبقاء فى الميدان للأقوى، يصبح الغنى هو سيد الموقف، مخالفا بذلك قاعدة إسلامية إنسانية مقررة وهى : تراحم المسلمين فيما بينهم ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف : ٣٢) من كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد عنده ومن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له.

أما إذا استندت هذه التربية إلى قيم تحكمها و توجه مسار أفرادها فإن فى ذلك صلاحا للفرد والجماعة ، ودليلا على صدق الانتماء ، فقد ذهبت جولدا مائير - رئيسة وزراء إسرائيل الأسبق - للقاء البابا، ولم يكن عندها قبعة، فرفضت أن تشتريها من روما حتى

لا تبدد رصيد إسرائيل من العملة الصعبة، ثم طلبت من شركة العال أن تحضر لها قبعة قديمة من منزلها فى القدس فى أول رحلة . ورغم ما فى الخبر من مغالاة ، إلا أنه مؤشر على الحرص على المال العام ، إلى جانب ضرب المثل أمام كل اليهود فى هذا الحرص.

ولما كان الإسلام أولى بأهله فى كل جانب من جوانب الحياة ، فإن التربية الاقتصادية فى غياب شرع الله تبدد أخوة المسلمين ، وتقضى على مختلف الوشائج بينهم ، وتجلب الضرر للمسلمين بقدر ما تحقق المصلحة لغيرهم.

جـ - أن التربية الاجتماعية - منفردة - عاجزة عن تربية الإنسان كإنسان، لأن المجتمع -كما هو ملاحظ - إذا لم يستطع الوفاء باحتياجات المواطن تحول الانتماء لها - فى أغلب الأحيان - إلى قيمة لا رصيد لها من القلب أو العقل، بل يصبح هذا الانتماء مثار سخرية وتهكم من الآخرين . ومن هنا فإن توفير الحد الأدنى من المعيشة ضمان لولاء المواطن لوطنه ، وانتمائه له.

إن هجرة الكثيرين من أوطانهم ، وانقطاعهم عن الوطن الأم ، بل وإعلان الولاء والتبعية للوطن الجديد ، إنما مرده أن المجتمع ليس مكانا جغرافيا يقيم فيه الإنسان ويعيش معه آخرون ، بل لأنه لو كان كذلك لأمكن للكثيرين أن يستبدلوا بأوطانهم أوطانا أخرى بسهولة ويسر ، كما يستبدل الإنسان ملبسا بملبس ، وإنما الوطن مجموعة معقدة من العلاقات المتشابكة ، أساسها العقيدة والأسرة وما يصدر عنهما من قيم ومعايير. وبهذا يصبح المجتمع دار إسلام يأوى المسلم كما يأوى غيره من اخوته فى العقيدة ، وتربطهم به رابطة حب وجوار ، ويغار عليه من العدوان ، بل يضحى بنفسه فداء له إذا ما حلت به ضائقة. وكثيرا ما يضحى غير المسلم فى سبيل دار الإسلام ، لأنها دار أمن وأمان له، الأمر الذى يستوجب الدفاع عنها من المسلم القريب والبعيد.

إن الوطن - بمن فيه وما فيه ، تسنده عقيدة قوية وأسرة مترابطة - لكفيل بأن يحدث امتزاجا فى نفس المرء تجعله يقول قريبا مما قاله المصطفى عليه الصلاة والسلام مخاطبا مكة بعد أن شعر (ﷺ) أن أرض مكة ليست أرضا قابلة للدعوة الإسلامية قال : (والله إنك لأحب أرض الله إلى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت).

وتجدر الإشارة إلى أن خروج المواطن من وطنه لإشباع الحاجات المادية لديه إن هو إلا بعد مؤقت ، يزداد فيه الشوق و الحنين إلى الوطن ، ويتضاعف ارتباطه به . أما إذا كان

الخروج لعدم توافر القيم الفاضلة كالعدل والمساواة والأمان ... الخ ، فإن الرابطة تقل وربما تزول ، وقد تصبح الغربة غربة نهائية بالروح والجسد معا . ومن هنا فإن الأرض كمكان لمجتمع ما ، أصبحت مرتبطة بالعقيدة فى عرف اليهود ، فقد " أصدر حاخامات إسرائيل الكبار – لأول مرة – فتوى مؤداها أن أى تخل عن أجزاء من أرض إسرائيل خروج على الدين اليهودى ، وكفر بكتبه المقدسة نصا وروحا " .

د – إن التربية النفسية ليست ناشئة من فراغ ، و إنما هى محصلة لكل ما يحيط بالمرء من أمن وخوف ، ويسر وعسر ، وحب وكره ، وانتماء وجفاء ، وإشباع وجوع . وهذه كلها وغيرها قيم من القيم الإيجابية التى تؤكدها العقيدة الإسلامية . ولا يمكن أن توجد الصحة النفسية فى غياب هذه القيم مترجمة إلى عادة وسلوك .كما أن غياب الصحة النفسية يسبب شيوع القيم السالبة وتصبح الحياة كلها قلقا واضطرابا وتوجسا من الآخرين ، وهذا وغيره مما لا تقره العقيدة الإسلامية . عن عياض بن حمار - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله (ﷺ) : "إن الله تعالى أوحى إلى : أن تواضعوا ؛ حتى لا يبغى أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد" .(رواه مسلم و أبو داود).

ومهما كان الأمر ، فإن كل تربية لا يمكن الجزم فيها بخلوها من أى أثر من الآثار الدينية - أيا كان هذا الدين - الأمر الذى يدعو إلى تقرير مسلمة قوامها أن التربية الإسلامية أساس لكل تربية ، وقاسم مشترك فى أى تربية يراها المجتمع ضرورة ملحة له بل إنها الضمان الوحيد لتأكيد الذاتية المسلمة ، والدولة المسلمة باعتبارها لازمة أساسية للمسلم.

٥ – دوافع التربية عند الآباء والأمهات :

لا يشك أحد فى أن الآباء والأمهات لا يدخرون وسعا فى تربية أبنائهم وتوجيههم إلى المسار الصحيح ، ولعل السبب فى ذلك ما يلى :

أ – أنهم مأمورون بنص الشرع بالقيام بواجبهم تجاه أبنائهم وذلك بتوفير الرعاية البدنية والدينية لهم ﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ (البقرة : ٢٣٣) . وكذلك فيما ورد من أقوال للرسول الكريم : مروا أولادكم بامتثال الأوامر ، واجتناب النواهى . علموا أولادكم و أهليكم الخير وأدبوهم . رحم الله والدا أعان ولده على بره. أدبوا أولادكم على ثلاث خصال: حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن. إذا أفصح الصبى

فليعلمه لا إله إلا الله وإذا أثغر فليأمره بالصلاة . ويبدو نص الشرع فى تعليم الأبناء الصلاة - وهى عماد الدين - فى قوله تعالى ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ (طه : ١٣٢).

ب – أن الجانب الفطرى لدى الآباء والأمهات يدفعهم إلى تقديم كل تربية صحيحة ، وكل خبرة تربوية لأبنائهم بصدق وأمانة ، انطلاقا من مسلمة معروفة وهى أنه لا أحد يحب أن يفضله غيره - مهما كان - إلا الأب والأم ، فأن سعادتهما أن يريا أبناءهما أفضل منهما فى كل منحى من مناحى الحياة.

ويتصل بهذا الجانب الرغبة القوية من الوالدين فى استمرار وجودهما فى الحياة بامتدادهما فى أولادهما ، بقاء وتربية . وقد يكون أحد الأبناء صالحا ، أو يترك بصمة على الحياة ، فيكون لهما من ذلك نصيب . ﴿ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ﴾ (الطور : ٢١).

جـ - أن الطفل فى حاجة ملحة إلى رعاية الآباء والأمهات، والقيام بتربيته، فإذا فقد أحدهما أو كلاهما احتاج إلى معونة الكبار من حوله . ونظرا لأهمية تربية الطفل، فإن تربية اليتيم فى الإسلام لها الجزاء الحسن . قال (ﷺ): " أنا وكافل اليتيم فى الجنة هكذا " (وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما) رواه البخارى.

وقد اقتضت الحكمة الإلهية أن تكون فترة الطفولة للوليد البشرى هى أطول فترة بحيث يتعذر على هذا الطفل الاستغناء عمن حوله ، كما هو المألوف فى عالم الكائنات الحية الأخرى وبالتالى يكون ملتصقا بوالديه ، لا ليتعلم الجانب الحياتى فقط ، ولكن ليتعلم الخلق ، والقيم الأصلية المرتبطة بالخلق الإسلامى.

ولما كانت الأخلاق **Morality** هى مجموعة العادات والآداب المرعية ونماذج السلوك التى تطابق المعايير السائدة فى مجتمع ما، فإن اكتساب هذه الأخلاق يؤدى دورا مهما فى التوافق النفسى والعلاج الاجتماعى. يقول (ﷺ): "من استرعى رعية فلم يحطها بالنصيحة حرم الله عليه الجنة" . ويقول (ﷺ): "الغلام يعق عنه يوم السابع ، ويسمى ، ويماط عنه الأذى. فإذا بلغ ست سنين أدب (أى بدئ فى تأديبه). فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه . فإذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة. فإذا بلغ ست عشرة زوجه أبوه، ثم أخذ بيده، وقال : قد أدبتك وعلمتك، وأنكحتك . أعوذ بالله من فتنتك فى الدنيا، وعذابك فى الآخرة".

د– أن الإسلام وضع حوافز سخية للآباء والأمهات الذين يحسنون تربية أولادهم ، وجاء بالتأكيد على البنت لدورها المستقبلى فى بناء الأسرة . فعن أنس رضى الله عنه عن النبى (ﷺ) أنه قال : " من عال جاريتين حتى تبلغا فقد جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين : وضم أصابعه" . وفى حديث آخر قال عليه الصلاة والسلام : " من ابتلى من هذه البنات (اليتيمات) بشئ ما أحسن إليهن كن له سترا من النار " باعتبار أنها صانعة الطفولة فيما بعد ، ذكرا كان أو أنثى.

٦ – المعوقات التى تحول بين الوالدين وتربية أبنائهم :

يبدو أنه رغم ما فى وضوح المعالم الأساسية لتربية الطفل المسلم أمام الوالدين إلا أن هناك بعض الأسباب التى تحول دون تحقيق هذه التربية ولعل من هذه المعوقات ما يلى :

أ – غياب الإلمام الكافى لبعض الآباء وبعض الأمهات بأسلوب التربية الصحيح من وجهة نظر الإسلام ، واعتمادهم على التقليد والمحاكاة ، ونقل خبرة تربية آبائهم لهم إلى تربيتهم أبنائهم ، أوترك عملية التربية للصدفة . ولو أدرك الآباء والأمهات خطورة الدور الملقى على عاتقهم ، لحملوا أنفسهم على معرفة كل ما يتصل بتلك التربية ، وتلك مسئولية الأم بالدرجة الأولى ، لأنها أكثر التصاقا بالطفل من الأب.

الأم مدرسة إذا أعددتها ❖ أعددت شعبا طيب الأعراق

ب – انصراف بعض الآباء والأمهات إلى مجالات عمل متعددة ، تقضى على معظم وقتهم وذلك بهدف تحصيل أكبر قدر من المال، واستغلال الوقت الباقى - بعد ذلك - للراحة. ونصيب الأولاد منه قليل، أو معدوم، اعتمادا منهم أن توفير الجانب المادى أهم من أى شئ آخر. وبعد توفير المطالب المادية، وإثبات الذات فى العمل لكلا الأبوين - يتعذر تعويض ما فات من تربية الأولاد.

دخل الحسن - على الرسول (ﷺ) - فلما سجد عليه السلام ، ركب الحسن على ظهره ، فأبطأ الرسول (ﷺ) فى سجوده حتى نزل الحسن . فلما فرغ من صلاته قال له بعض أصحابه : يا رسول الله : لقد أطلت السجود ، فقال : إن ابنى ارتحلنى فكرهت أن أعجله ، أى جعلنى كالراحلة فركب على ظهرى . ومعنى هذا أن الشرع يعطى الطفل الوقت الكافى . ولو كان ذلك للمداعبة والملاعبة ، حتى وإن تمت هذه الملاعبة من خلال العبادة التى يؤديها المسلم ، وذلك نظرا لأهمية الجانب الوجدانى لدى الطفل ، وتأثيره الفعال فى حياته بعد الطفولة.

جـ - عجز المؤسسات التربوية عن أداء رسالتها تجاه تربية الطفل ، وذلك بسبب تفرع سوق العمل فيها إلى كثير من المجالات نتيجة للتقدم الحضارى ، واستقطب إليه العامل من كلا الجنسين ومن مختلف الأعمار واتجه هذا العامل إلى المجال الذى يدر عليه عائدا ماديا أكبر وأكثر ، بغض النظر عن رغبته الحقيقية تجاه هذا العمل . وترتب على ذلك أن كثيرا من الناس يمارسون نشاطهم المهنى والحرفى بعيدا عن حب العمل وإتقانه وإجادته . ولعل من ذلك أن بعض المعلمين يجمعون بين التعليم والعمل فى أنشطة أخرى . هذا الوضع يجعله لا يؤدى دوره بصورة مرضية أو الانشغال بالدروس الخصوصية - مثلا - والتأكيد على التعليم أكثر من التربية.

ولما كان من هذه المجالات - كبرت أم صغرت - مؤسسات تربوية - وإن لم تأخذ لافتة التربية - تسهم فى إعداد النشء، وتؤثر فى تربيته ، ويؤخذ عنها الأدب والقيم، فأنها - ربما - تتجه إلى مسار غير مسار التربية، وتجنح إلى الجانب المادى وتوفير مستلزمات العيش الضرورية وغير الضرورية.

ولعل من هذه المؤسسات التربوية مدارس الحضانة التى زاد عددها بشكل ملفت للنظر وذلك بسبب ظروف اقتصادية واجتماعية وهى لا تتيسر لكل من هم فى سن الحضانة، وإذا توافرت فليس باستطاعة الكل أن يذهب إليها ، وإذا ذهب إليها فإن كل حضانة تربى بطريقتها الخاصة ، وقد تكون هذه التربية دخيلة على المجتمع الإسلامى ، ولا صلة لها بمعايير هذا المجتمع ، وربما يقوم بهذه التربية من ليس لديه خبرة فى هذا المجال ، فضلا عن هدفها التجارى . وقد اتجهت هذه المدارس أكثر إلى عملية التحصيل ، وأصبحت تقيس كفاءتها بمقدار نسب النجاح فيها ، ومقدار التعليم الذى تحققه . أما التربية فإنها تأتى فى المرتبة التالية . والمجتمع بما فيه من أمشاج متعددة وأنماط مختلفة يوقع النشء فى حيرة : أى السلوكيات يختار ؟ وما الأساس الذى يستند إليه فى عملية الاختيار هذه ؟

ولا يغيب عن البال فى هذا المجال المربيات التى تسند إليهن بعض الأسر تربية أطفالها. وهذه المربيات مهما كانت كفاءتها ، وأمانتها فإنها لا يمكن - بأى حال من الأحوال - أن تؤدى دور الأم ، مما يستوجب الحد من هذه الظاهرة ، أو على الأقل ملاحظة ما تقوم به تلك المربية .

وإذا كان الجانب الإعلامى يقوم بدور ما فى مجال تربية الطفل ، فإن الوقت المخصص لذلك فى الإذاعة والتلفزيون ضئيل، وكذلك فإن المساحة المخصصة فى الصحف

والمجلات قليلة . ولعل السبب فى هذا القصور من جانب المؤسسات التربوية الرئيسية أن كل مؤسسة ترى أن الأخرى هى المسئولة عن تربية الطفل ، وأن الدور الذى تقوم به كاف فى هذا المجال.

د – كثرة التحديات التى تواجه الآباء والأمهات فى سبيل تحقيق تربية إسلامية صحيحة.

ولعل من أولى هذه التحديات أن التربية عملية مستمرة ، وتحتاج إلى نفس طويل وصبر كبير دون ملل أو كلل ، فى الوقت الذى استهلك العمل كل وقت الأب والأم فى البيت أو فى خارجه . كما أن الأسرة قد ضاقت فى حجمها إذ اقتصرت على الزوجين والأولاد القصر، كما ضاقت فى وظائفها ، بمعنى أنها لم تعد قط سوى سكن واستهلاك، وضاقت أخيرا فى سلطتها، وسلطة الوالدين - ولا سيما الأب - تأتى بعد ذلك نظرا لكثرة البعد الذى لا ينتهى عن البيت وقبل هذا وبعده الغزو الثقافى الذى يبدو فى وسائل الإعلام المختلفة من تلفزيون وإذاعة وسينما ومسرح وفيديو ، وقمر صناعى وإعلانات ، ومن جوانب أخرى كالتعليم ، وبعض الكتب والمجلات الثقافية ، كما تبدو التحديات فى بعض المفاهيم التى روج لها البعض . ومنها أن " الفرائض الدينية تخضع للحرية الفردية ، والحرية قيمة من القيم التى تتم ممارستها إزاء عدد من السلطات ، ومنها سلطة الدين . والحرية فى التجربة - وهى فى رأى البعض أسلوب لتكوين الشخصية ويمكن أن تمارس حتى بالنسبة للمحرمات والترفيه عن النفس ، وتفريغ الكبت الجنسى بالاختلاط المفتوح والتى يؤمن بها هذا البعض ، من أنها أصل من أصول التوجه التربوى".

ويكفى أن التلفزيون اليوم يتميز بالعدوانية ، فبعض البيانات الواردة من الولايات المتحدة الأمريكية - وهى العاصمة التلفزيونية - يرتج لها العقل ولا يقتصر ذلك على دولة بعينها ، ولكنه السمة الغالبة على تلفزيون كل دولة ويقدر أن الناشئ الأمريكى فى السابعة عشرة من عمره يكون قد رأى ٣٥٠.٠٠٠ إعلان خارج و٢٠.٠٠٠ من مشاهد القتل المتلفزة ، ومع ذلك فإن التراث التليفزيونى العدوانى ما زال مستمرا . وفى (بالى) بإندونيسيا ، كان من أثر الافتتان بأفلام الرسوم المتحركة فى التليفزيون أنه قاطع سير الطقوس الدينية فى المعابد.

٧ – مسئولية الآباء والأمهات تجاه تربية الأبناء :

يمكن القول : إن مسئولية الآباء والأمهات إزاء تربية الأبناء كثيرة ، ومتعددة ، لعل من أبرزها ما يلى :

أ – اختيار الزوجة الصالحة :

الزواج فى الإسلام رابطة قوية ، لأنه سكن ومودة ورحمة ، وهو بهذا الاعتبار منة من الله تعالى وفضل ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ (الروم : ٢١) . ولا يتأتى ذلك إلا إذا كانت هناك ألفة بين الزوجين ، وهى تنشأ بوجود الانسجام بين الطرفين ، فالرسول عليه الصلاة والسلام يقول : " الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف ".

والاختيار عملية مشتركة بين الاثنين ، ومن حق كل منهما قبول الآخر أو رفضه ، نظرا لأنه عقد حياة كاملة ، والاستمرار فيها هو الأساس ، أما فسخه فهو الطارئ . وتؤكد الأحاديث النبوية على الجانب الدينى فى عملية الاختيار ، لأنه المنطلق والأساس لكل مودة ورحمة ، ولكل تربية سليمة ، وبدونه يفتقد النشء كل مقومات الحياة ، ففاقد الشئ لا يعطيه.

وإذا كان الرسول (ﷺ) يقول : " تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس " فإن الرسول علية السلام لم يحدد ما فى العرق حتى يمكن حمله على كل جانب يتعلق بالإنسان " إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض ، وفساد كبير" خير "متاع الدنيا المرأة الصالحة".

إن الوالدين ، والأجداد والأقرباء عامة ، لا يورثون أبناءهم وأحفادهم وأقاربهم المال وحده، وإنما يورثونهم كذلك الاستعدادات : الخيرة والشريرة ، والاستعدادات الوراثية للصحة والمرض والاستقامة والانحراف، والحسن والقبح ، والذكاء والغباء ... الخ ، وهذه الصفات تلاحق الوارثين ، وتؤثر فى حياتهم ولا تتركهم من عقابيلها . وليست هذه الوراثة مطلقة ، ولكنها نسبية ، ومعيارها الأساسى الشخص نفسه . فبعض الأولاد يرفض الانصياع لما عليهم آباؤهم وأجدادهم ، بل منهم من يتفوق على الآباء أو الأجداد فى الخير أوفى الشر أو فى ما عدا ذلك . والتغيير فى الأفراد - كما هو فى الجماعات - أمر وارد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد : ١١).

ب – رجوع الآباء والأمهات إلى ما جاء فى القرآن والسنة بصدد تربية الأبناء:

يرتبط الطفل بوالديه ارتباطا كبيرا ، وإن كان ارتباطه فى مراحل نموه الأولى بأمه أكثر. ويدل هذا التعلق على علاقات اجتماعية متبادلة بين الطفل وأمه فى بدء حياته . وكما يتعلق الطفل بأمه تتعلق الأم بطفلها أيضا ، وكما يسعى إلى جوارها تسعى هى إلى جواره ،

إن العلاقة بينهما علاقة متبادلة ، وينطوى التبادل على تفاعل وحب ثم يتطور التعلق وتتسع آفاقه خلال مراحل الحياة ، ويصبح فى كثير من نواحيه الدعامة الأولى لكثير من مظاهر الجماعة الصغيرة. ومثال ذلك التماسك الجماعى ، وأغلب ما تسفر عنه زيادة التفاعل الجماعى ، من أجل ذلك أصبح التعلق من أهم مظاهر التنشئة الاجتماعية.

ولما كان للأم والأب هذا التأثير البالغ فى حياة الطفل ، فإنه بمقدار التزامهما بالكتاب والسنة بمقدار ما تكون التنشئة سليمة وصحيحة . والسبب فى ذلك أن الإسلام هو منهج الحياة الوحيد الصالح ، لأن تصوراته ومبادئه وموازينه وقيمه وشريعته ، وأوضاعه وتقاليده صادرة عن الله سبحانه وتعالى.

من هنا ، فإن تمسك الأبوين بدينهما ، والحرص منهما على السلوك المطابق للإسلام أمام الطفل كثيرا ما يترك أثرا قويا - ولو بعد حين فى حياته ، وذلك من خلال حب الطفل وتسميته وملاعبته، ومداعبته، وتقبيله ونصحه، وحمايته من المؤثرات الخارجية، وبيان رأى الإسلام فيما يواجهه بما يتمشى مع نموه ، وبيان الأبعاد الأخلاقية الإسلامية والتربوية والاجتماعية والثقافية عموما.

ويقع العبء الأكبر من تلك المسئولية على الأم ، لأنه إذا كان المطلوب من الأب مسئولية توفير الإعاشة المناسبة للأسرة ، فإن الأم عليها عبء أكبر فى تربية الأبناء وقبل ذلك فى إعداد نفسها حتى يكون لديها القدرة على التوجيه والعطاء . فالجنة تحت أقدام الأمهات ، فهى تربى طفلا يتعود على عبادة ربه . ويعرف معنى العبودية الحقيقية لله سبحانه وتعالى ؛ لأن الجنة لا تعطى بدون مقابل. وعلى قدر العمل يكون العطاء . ومبدأ الثواب والعقاب أمر مسلم به فى السماء والأرض ، وفي التربية بصفة عامة.

جـ - القدوة الصالحة :

تعد القدوة الصالحة فى القول والعمل خاصة من الأبوين عملا تربويا فعالا ، ومؤثرا قويا فى الأبناء. وبمقدار تلقائية السلوك الصادر عن إيمان عميق، واتجاه ثابت - بعيدا عن التكلف والتعسف - بمقدار ما تتأصل فى أذهان النشء، وتصبح عملا آليا لا مجال فيه للفكر، أو إعمال العقل ، لأن صدوره من الأبوين بهذا الشكل يؤكد الثقة فى نفس الابن، ويبعد جانب الشك عنه.

إن ما يجرى فى الأسرة مجال واسع لتطبيق القدوة الحسنة فى مختلف مجالات الحياة ، فى الصلاة و الصوم ، والإنفاق ، والتعامل مع الجار ، والصدق ، والأمانة ، والبيع والشراء

.. وغير ذلك من المعاملات .فالطفل حينما يرى أمه ، أو أباه طرفا فى أى موقف من مواقف الحياة ويتحرى فيه جانب الحق ، ويرعى أمور دينه ، ويستمر على ممارسة كل ذلك أمام الطفل ، ينشأ على مثل ما رأى وسمع . وإلا وقع فى الشك والحيرة ، إزاء ما يرى ، وما يسمع.

والأسوة الأولى و الأخيرة هنا ممثلة فى الرسول العظيم ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (الأحزاب : ٢١) . والأسوة بمن أوحى إليه ، ومن علمه ربه - أولى بمن يجتهد فيصيب أو يخطئ.

ويرى البعض أن العوامل الوراثية ليست ذات أهمية فى تشكيل تصرفات أطفالنا ، ولكن هذه التصرفات ترجع بنسبة قد تصل إلى ٨٥٪ من تصرفاتنا نحن الآباء والأمهات مع أطفالنا ، وبخاصة علاقة الأم بطفلها ، فإنها هى وحدها العامل المؤثر ذو القيمة الملحوظة فى نشأة تصرفات معينة دون غيرها.

د – العدل والمساواة فى معاملة الأولاد :

الأسرة هى أول مجتمع يعيش فيه الطفل، ويتعلم منه عملية الأخذ والعطاء، الأخذ الحسى والمعنوى، والعطاء الحسى والمعنوى - وكلاهما لا فارق بينهما فى نظر الطفل، وهو يرقب ما يجرى حوله فى الأسرة خاصة إذا كان هناك أخوة له " فالأبناء لا ينسون أبدا أن أشقاءهم تميزوا عنهم، ومن هنا فإن العدل مطلوب بين الأبناء فإذا تحقق كانت هناك ألفة ومودة ، وإذا لم يتحقق كأن يكون هناك انحياز للولد أو البنت ، حلت الجفوة مكان الحب ، وحل البعد مكان القرب . ومن هنا فإن الرسول (ﷺ) يقول : "اتقوا الله واعدلوا فى أولادكم" وقد قالها عليه الصلاة والسلام حين جاءه النعمان بن بشير وقال له : " إنى نحلت ابنى غلاما كان لى" ، فقال الرسول عليه السلام : " أكل ولدك نحلته مثل هذا ؟ فقال : لا" . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : " فأرجعه ، فرجع ، فرد تلك الصدقة " وفى رواية (لا تشهدنى على جور).

والعدل بين الأولاد لا يساعدهم على أن يكونوا أسوياء داخل الأسرة فقط ، وإنما يمتد هذا إلى المجتمع ، حين يتحملون عبء المسئولية فيما بعد ، حيث يشعرون بالرضا النفسى فى كل مسلك يتحقق فيه جانب العدل ، ويصبح خلقا ملازما لا عارضا ، واتجاها أصيلا يدافعون عنه بكل قوة ، لأنهم تربوا عليه ، ورأوا فيه الراحة والطمأنينة .

وتجدر الإشارة إلى أن المفاضلة بين الأولاد ليست مقصورة على الجانب المادى وإنما تشمل العاطفة أيضا . صحيح أن العاطفة ميل قلبى لا دخل للعبد فيه ، ولكن على الأب

والأم أن يظهرا - على الأقل - بمظهر الحب المتساوى أمام الأبناء ، فلا يصدرا تميزا أو ميلا للبعض من أبنائهم دون البعض الآخر ، لما له من آثار على النفس.

هـ - توحد اتجاهات الأبوين فيما يتعلق بالتربية :

الطفل مسجل واع لما يدور حوله ، خاصة فيما يصدر عن الأب والأم . وهو يميل إلى من يحقق له رغباته ، ويلبى له طلباته ، سواء أكانت مرغوبة أم غير مرغوبة . وهو يحاول أن يستهدف من كليهما أو من أحدهما بوسائله الخاصة إذا لاحظ تضاربا فى الرأى ، أو اختلافا فى وجهات النظر.

ومن هنا ، فإن اتفاق الأبوين اتفاقا تاما فى تربية الطفل إنما يحقق أهدافا ثلاثة :

الأول - أنه يؤكد لدى الطفل صدق الرأى ، وسلامة التوجيه ، ويحميه من القلق والشك فيما كان من أمره . وحين يفهم أن والديه كانا يراعيان شرع الله فيما يصدر عنهما يزداد حبه لله ولرسوله ، وانتماء لشرع الله.

الثانى - أنه يحافظ على التوازن العاطفى الحقيقى تجاه الأب الأم ، وحينما يحتكم الطفل إلى نفسه بخصوص عاطفته تجاههما يحس بالتوازن الحقيقى فى هذه العاطفة ، لأنهما لم يتملقا ميوله ورغباته ؛ وإنما احتكما إلى الحق والعدل.

الثالث - أن هذا الاتفاق - فى الغالب - يخرج لنا طفلا سويا متوازنا . وقد لوحظ أن الأطفال الذين يتمتعون بروح قيادية هم فى معظم الحالات أطفال من أسر متفاهمة تسودها روح الحب ، فتقوم الأم دائما بمخاطبة طفلها ، والتحدث معه بلطف وحنان.

إن العلاقات الزوجية التى تتسم بالسواء ، تمكن الطفل من التوافق النفسى الصحيح ومن إشباع حاجياته ودوافعه بصورة سليمة فى إطار معايير المجتمع ، أما التنشئة فى إطار تصدع أسرى ، وخلافات زوجية تخلق شخصيات غير سوية تعانى من القلق وانعدام الأمن.

و - التركيز على الجانب الخلقى :

إذا كان الجانب الخلقى يمثل أساسا من الأسس التى تنطلق منها الأهداف التربوية فى العملية التعليمية ، فلا أقل من أن تكون نقطة البداية فى الأسرة بحيث تسعى إلى تكوين طفل مؤمن بربه ورسالات رسله ، يضع الإيمان بالله وبالرسالات السماوية فى قمة

اهتماماته . حيث يحافظ على أصول دينه ، وقيمه ، وسلوكياته ، ويجعلها أساس حياته . ويحمل أمانة الأخلاق الفاضلة ، ويظهرها فى نفسه ، وفى تعامله مع الآخرين ، ويتقبلها بقبول حسن ، وينافح عنها وهو يسلك مسالك القصد والاعتدال فى أمره كله ، فلا يغلو فى دينه ، ولا يتعصب فى مذهبه، ولا يتطرف فى رأيه ، بل يتصدى لما يصدر عن الآخرين من غلو ، وتعصب وتطرف بالحكمة وسداد الرأى .

وليس المقصود بالخلق هنا ما تواضع عليه المجتمع ، أيا كان ما تواضع عليه وإنما المقصود بالخلق ما كان داخلا فى إطار الدين الإسلامى ، واتفاقه مع خلق المسلم . والقرآن هو مصدر هذا الخلق ، وهو الذى يحدده.

وهنا يتأكد دور الأب والأم وكل المحيطين بالطفل من حيث التزام كل هؤلاء بالقيم الفاضلة وتحرى السلوكيات المدعمة لهذه القيم، بحيث " تخضع مسموعات الطفل ومبصراته التى ترد إلى مخه عن طريق العين والأذن لرقابة مضبوطة . إن كلمة بذيئة أومنظرا شاذا يكفى لأن ينحرف بالطفل عن الصراط المستقيم ، ويلوث أذياله إلى الأبد.

وتجدر الإشارة إلى أن التربية الخلقية من جانب الأسرة، ليس التركيز عليها من جهة المسلمين فقط ، وإنما من غير المسلمين أيضا ، فليست التربية الأخلاقية بالنسبة للرأى العام إلا فرعا من فروع التربية ، تتحمل مسئوليته الأسرة أولا ، والمدرسة ثانيا ، والتعليم الدينى إلى حد كبير . وهى تطابق مطابقة كافية الفضائل الأصلية الأربع وهى : التمييز ، والشجاعة والسيطرة على الذات ، والعدل . فالتمييز بين الحق والباطل وبين الواقع والوهمى، وامتلاك الشجاعة على الإقدام والمثابرة ، مهما كلف الأمر ، والسيطرة على الرغبات والمخاوف وفورات الغضب ، والنزاهة فى معاملتنا للآخرين ، ومعاملتنا لأنفسنا باحترام حق كل فرد كل ذلك يعلم من خلال لعبة كرة القدم ، وفى مراقبة تفاعل كيميائى ، وفى حل مشكلة، وفى ترجمة نص غامض ".

ز – الاعتدال فى العواطف :

يمثل الاعتدال فى العواطف قيمة أساسية فى التربية الإسلامية، وهى تطبق فى كل المجالات تقريبا، فى الأكل والشرب والملبس والإنفاق. وما يسرى على الجانب المادى يسرى أيضا على الجانب الوجدانى، فالعواطف الإنسانية - ومنها عاطفة الأبوة والأمومة - ينبغى أن يتم التعامل معها باعتدال، ويستوجب ذلك البعد عن التدليل والشدة فى تربية الأطفال.

والعاطفة المطلقة فى شتى مجالات الحياة لا قيمة لها إذا لم يساندها العقل ويفرض نفسه أى أن العقل صمام أمان لها . كما أن العقل بدون عاطفة يجعل الحياة خشنة لا تطاق وتفجر مواقف تثير الملل والسأم . أما تربية مزيجها الاثنان معها - العقل والعاطفة - فإنها تعطى للطفل الحب ، وتزوده بالحنان وتحميه من نوائب الزمان . ومعنى ذلك أن العواطف المشبوبة ، والحنان الزائد يؤديان إلى الخيال الجامح والشطط فى التصرف . ومن ناحية أخرى فإن العقلانية المحضة ومعالجة الأمور بطريقة خالية من العواطف ما هو إلا تحجر وجمود يرهق النفس ويدفعها إلى البعد عن الحياة ذاتها . إن نظام الحياة التى نعيشها تفرض - خاصة فى محيط الأسرة - عملية الجمع بين العقل والعاطفة معا ، فإذا اختل نصاب واحد منهما - تبعا للموقف نفسه - أدى إلى تربية مهزوزة ، ونشء سقيم . ومهمة الأب والأم معالجة هذا النظام بحساب.

وليس فى نظام تربية الأولاد حساب كمى ، ولكنه متروك للوالدين خاصة إذا كانا على قرب من الله ، واطلعا على تربية الإنسان المسلم ، ثم اعتمدا بعد ذلك على الجانب الخفى الذى أودعه الله للوالدين.

إن الاعتدال فى العاطفة مصحوبا بنداء العقل هو الذى دفع أسماء بنت أبى بكر إلى أن تقول لابنها : إن الشاة لا يضرها سلخها بعد ذبحها ، بعد أن دخل عليها وقال لها : خذلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، فلم يبق معى إلا اليسير ممن ليس عنده من الدفع أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا فما رأيك ؟ فقال : أنت والله يا بنى أعلم بنفسك ، إن كنت تعلم أنك على حق ، وإليه تدعو فامض له ،فقد قتل عليه أصحابك ، ولا تمكن رقبتك يتلاعب بها غلمان بنى أمية ، وإن كنت أردت الدنيا فبئس العبد أنت ، أهلكت نفسك وأهلكت من قتل معك ، وإن قلت : كنت على حق ، فلما وهن أصحابى ضعفت ، فهذا ليس فعل الأحرار ولا أهل الدين ، كم خلودك فى الدنيا ؟ القتل أحسن . والله لضربة بالسيف فى عز ، أحب إلى من ضربة بالسوط فى ذل فدنا ابن الزبير وقبل رأسها وقال : هذا والله رأيى.

وإذا كان هذا هو موقف اعتدال العاطفة قبل الخطر ، وصدر من أم تعرف دينها ، فإن هناك موقفا يدل على اعتدال العاطفة أيضا بعد وقوع الخطر ، ويتوقع فيه الخروج عن المألوف ويتجلى هذا الموقف فى قول الخنساء : الحمد لله الذى شرفنى بقتلهم ، وأرجو من ربى أن يجمعنى بهم فى مستقر رحمته ، وذلك حين بلغها مقتل أبنائها الأربعة ،

وكانت قد أوصتهم من الليل بقولها: يا بنى إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين. والله الذى لا إله إلا هو إنكم لبنو رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة ، ما هجنت حسبكم ، ولا غبرت نسبكم ، اعلموا أن الدار الآخرة خير من الدار الفانية ، اصبروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون . فإذا رأيتم الحرب قد شمرت عن ساقها ، وجلت نارا على أرواقها ، فتيمموا وطيسها ، و جالدوا رسيسها ، تظفرون بالغنم والكرامة فى دار الخلد والمقامة . فلما أضاء لهم الصبح باكروا إلى مراكزهم وتقدموا واحدا بعد واحد ينشدون أراجيز يذكرون فيها وصية العجوز لهم حتى قتلوا عن أخرهم.

ومعنى هذا كله أن الاعتدال فى العواطف يخلق الرجال ، ويعدهم لمسئوليات الحياة ، أما التدليل أو القسوة فلا يؤدى إلا إلى الفشل. والمؤكد فى جانب الاعتدال هو قوة الإيمان، ومعرفة الحق ، ووضوح الرؤيا لدور الإنسان فى هذه الحياة.

ح – التدريب على حل المشكلات :

يرى البعض أن حل المشكلات هو أعلى أنواع التعليم عند الإنسان ، ولهذا الرأى قيوده وحدوده ، فنوع التعليم القائم على حل المشكلات يجب أن يسبقه ، ويكون أساسا ومقدمة له، إدراك المشكلات وتحديدها وصياغتها ، فإذا لم تكن البداية بإدراك وفهم وتشخيص للمشكلة ، فإنه من الصعب المضى فى تناولها ومحاولة حلها.

وتؤدى التربية المبكرة الصادرة من الأبوين دورا مهما فى تمرس الطفل على حل المشكلات لأنها تواجه الفرد - كلا حسب عمره - يوميا . وتوجيه الطفل منذ البداية على حل مشكلته هو الطريق لتنمية التفكير الصحيح ، وذلك من خلال الإفادة مما سبق أن تعلمه فى مواقف مشابهة أو مواقف جديدة.

إن تعهد الأبوين فى تربية أولادهما على مواجهة المواقف منذ الصغر ، إنما يحمل فى طياته الاستقلال المبكر والثقة بالنفس ، والشعور القوى بالذات ، واكتساب بعض المعلومات والمعارف والاعتماد على النفس وتحمل المسئولية.

ولا يحجر الإسلام على الآباء أو الأمهات أن يتخذوا ما هو ضرورى لتربية الطفل تربية تؤهله للتعامل مع عصره ، وتفتح أمامه الطريق للمستقبل المرغوب ؛ لأن الإسلام يحب من بنيه التفوق والقوة ، فالمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف . فمن تمسك باستخدام السيف فى عصر الصاروخ عد متخلفا ، مكانه المتحف ، ومن تمسك بتعليم ركوب الخيل ومهارة الرمح فقد أخطأ فى فهم الإسلام . واستيعاب الإنسان للجو

المحيط به ، وفهمه للأبعاد المعاصرة هو الذى يفتح أمامه باب حل المشكلة أيا كانت هذه المشكلة : سياسية ، اقتصادية، عسكرية ، اجتماعية ... الخ.

ولما كانت التربية هى الإعداد للحياة ، فإن هذا الإعداد ينبغى أن يكون من جنس ما برع فيه المعاصرون ، حتى لا يأثم المسلمون ، وسندهم فى ذلك عقيدة صافية وإيمان راسخ وهدف مطلوب تحقيقه.

ط – تنمية الذوق الإنسانى:

التذوق سلوك إنسانى ، يبدو فى كل مظهر من مظاهر الحياة ، فى الكلمة والموقف والتصرف ورد الفعل تجاه أى حدث ، وفى المأكل والمشرب والملبس والمسكن ، وهو فى كل هذه الحالات لا يصدر عن فراغ ، وإنما هو وليد تربية نماها الأبوان ، واتخذا مما هو موجود فى القرآن والسنة أساسا ينطلق منه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ ﴾ (الحجرات : ٢) فإن رفع الصوت واتخاذ أسلوب المماثلة مع الكبير : نبيا، أبا، أخا، غريبا، فيه خروج عن الأدب وتعد عن حدود اللياقة والذوق.

إن الطفل لديه استعداد للتعلم ،وهو يسلك وفق ما نشأه أبواه ، ومن خلال ما يرى من سلوكيات طبيعية طيبة يقبلها الذوق ، أو يمجها صاحب الفطرة السليمة .

والمتصفح لكتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، يجد قمة الأدب فى السلوك ، والذوق فى الأداء فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام : " لا يحل لرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما " حديث حسن . وفى رواية لأبى داود " لا يجلس بين رجلين إلا بإذنهما ".

وعن جابر بن سمرة رضى الله عنهما قال : " كنا إذا أتينا النبى (ﷺ)، جلس أحدنا حيث ينتهى". وغير ذلك كثير حفلت به السنة النبوية المطهرة.

إن تلك الآداب وتذوق ما فيها من سلوكيات لا يعرفها الطفل إلا إذا عرفها له أبواه ، ولن يتم ذلك إلا إذا استشعر الآباء والأمهات الثقة بما فى الإسلام من رصيد حضارى وتربية جديرة بالإنسان ، بدءا من الطفولة ، إلى ما شاء الله من العمر.

إن الفخر بالإسلام والانتماء إليه أمر يجب أن يعلنه الآباء والأمهات أمام الأبناء ، فخرا لا ينفصل عن السلوك ، وساعتها يتعزز إيمان الطفل بدينه ، والإصرار على السلوك بمقتضاه ويعرف أن إسلامه يمده بكل ما لا يؤاخذ عليه بين الناس ، ويعفيه من الحرج طالما استند فى ذلك إلى ما فى القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة.

ومهما يكن من أمر فإن للفن كما للعلم أثرا كبيرا فى التربية ، بل إن الفن والعلم فى التربية لهما أثران متتامان ، لا مندوحة فيهما فى تنشئة الأحداث وتثقيف عقولهم معا ، ولا غرو فى ذلك فإن الفن والعلم من أعلى نتاج المواهب الفكرية الإنسانية . فإذا تعهد المربى مواهب التلميذ العقلية بالعلم ، لزمه أن يتعهد بالفن عاطفته وقلبه ما دامت النفس الإنسانية كلا مشتبك المواهب والملكات ، وما دام شأن التربية قد تعهد هذا الكل المشتبك"

٨ – دور الآباء والأمهات فى دعم المنهج المدرسى :

وفى ضوء كل ما سبق يمكن القول : إنه لما كان من المعروف أن المنهج المدرسى هو كل الخبرات المربية التى تقدمها المدرسة ، وتشرف عليها سواء ، أكان ذلك داخل جدرانها ، أم خارجها ، ولما كانت التربية الإسلامية ليست مسئولية مدرسى التربية الإسلامية فقط ، بل هى مسئولية كل مدرس باعتبار أن الدين يدخل فى كل موقف ، أو مظهر من مظاهر الحياة ، ولما كان بعض الآباء والأمهات لا يزالون يحتفظون ببعض ما تعلموه عن دينهم فى أثناء تلمذتهم - فإن ذلك يؤكد أن هناك أدوارا يمكن أن يؤديها الآباء والأمهات تجاه المنهج المدرسى بصفة عامة ، والجانب التربوى منه بصفة خاصة.

ويؤكد المتخصصون فى مجال المناهج أن الأسرة تشترك مع المدرسة فى عملية تربية الأبناء بل هى الأساس فى ذلك ، حيث يكتسب الطفل أولى خبراته بما تشمله من مفاهيم وعادات واتجاهات واهتمامات ، ومن ثم يأتى دور المدرسة فى المراجعة وتعديل مجرى هذه الأمور ، وإصلاح الخاطئ أو غير المرغوب منها . وعلى ذلك فإن المسئولية مشتركة ، بل يمكن القول إنه لا يستقيم دور أى من الأسرة ، أو المدرسة فى غياب أى منهما ، أو إذا كان هناك تضاد أو تضارب ، بين الدورين.

وبناء على ذلك يمكن استخلاص أهم الأدوار التى يمكن أن يقوم بها الآباء والأمهات لدعم المنهج المدرسى ، ويمكن تصنيف هذه الأدوار طبقا لعناصر المنهج الرئيسية . وهى : الهدف ، والمحتوى ، والطريقة ، والوسيلة التعليمية ، والنشاط المدرسى ، والتقويم . ولعل من أبرز هذه الأدوار ما يلى :

أ – الهدف :

١ – ملاحظة تحقيق الهدف الوجدانى من القيم ، والاتجاهات ، والاهتمامات ، والآداب والمعايير الإسلامية المقبولة، والأحاسيس الروحية الأخلاقية للأسرة وللأمة

وللإنسانية لدى الأبناء باعتبار الآباء والأمهات أكثر التصاقا بهم من غيرهم . أما الهدف العقلى والهدف المهارى فخارج عن إمكانات بعضهم ، وقدراتهم ، وإن كان هذا لا يمنع من مشاركة الآباء والأمهات فيهما، انطلاقا من أن الآباء والأمهات يقفون فى مساعدتهم لأبنائهم عند مرحلة تعليمية ما، بل فى كثير من المواد الدراسية.

٢ – التأكد من أن المضامين المعرفية التى تقدمها المدرسة لا تتعارض مع الأصول الثابتة فى الكتاب والسنة . وهذا الدور ليس مطلوبا إلا ممن قدر من أولياء الأمور على فهم هذا الجانب، وإصدار الحكم عليه ، على ضوء من المفاهيم الإسلامية .

٣ – التحرر من خبرات التربية الماضية ، التى لا تفيد الأطفال شيئا فى حاضرهم أو مستقبلهم، انطلاقا مما هو معروف : علموا أولادكم غير ما تعلمتم فإنهم خلقوا لزمان غير زمانكم .

٤ – دعم الاتجاهات السوية التى يتطلبها المجتمع الإسلامى كالانتماء ، والولاء ،وعدم التعصب والتحذير من القيم السالبة - وإن تفشت فى المجتمع - والمطالبة بالابتعاد عنها.

ب ـ المحتوى :

١ – مساعدة الأبناء فى تكوين الأحكام السليمة استنادا إلى المادة العلمية المناسبة ، التى تقدمها المدرسة ، والمنتقاة للدراسة والبحث.

٢ – مشاركة المدرسة فى تعليم الطفل دوره الاجتماعى : ذكرا ، كان أم أنثى ، ودعم احترام كل منهما للآخر ، وملاحظة الطفل فى أسلوب تفكيره ، وقراءته.

٣ – مراعاة الجانب التطبيقى لما تعلمه فى المدرسة ، والإشراف على مدى صحته ؛ لأن هناك بعض المفاهيم ربما تفهم على غير وجهها الصحيح.

جـ ـ الطريقة :

١ – مشاركة المدرسة فى تعليم الطفل البحث عن معنى كل شئ ، ودلالته بهدف فهم الحياة الإنسانية ، والطبيعة التى يمكن أن يعيش فيها ، وإبداء الرأى فيما يعرض عليه.

د – الوسيلة التعليمية :

١ – تنبيه الطفل إلى الملاحظة الدقيقة للوسيلة التعليمية التى تعرض عليه وإبداء الرأى فيها إيجابا أو سلبا ، ومعرفة كيفية الإفادة منها.

هـ ـ الأنشطة المدرسية:

١ – تشجيع الطفل على المشاركة فى الأنشطة المدرسية ، باعتبار أن هذا النشاط داخل فى العملية التعليمية ، يثريها ، وينميها ، وليس عملا ترفيهيا ، يضيع فيه الوقت . ويتمثل هذا التشجيع فى المشاركة فيها - إن أمكن - والإسهام ماديا ومعنويا.

٢ – توجيه الطفل إلى وجوب استغلال الوقت حتى ينشأ الطفل محبا لذلك " أحذركم عاقبة الفراغ ، فإنه أجمع لأبواب المكروه من السكر " فالفراغ أشد على الناس من محنة الخمر ، لأن إيقاع الحياة المعاصرة أسرع ، وتتطلب مهارة تعليمية أعلى.

و – التقويم :

١ – توجيه الطفل إلى التجويد فى الدرس ، والأمانة فى الامتحان ، والصدق فى الإجابة والفهم الجيد لما يقوم له ، والقدرة على توجيه الموقف لصالحه.

٢ – مساعدته فى تقصى الدقة فى ملاحظة الوقائع التى تتصل بما يقع تحت سمعه ، وبصره وسائر حواسه واستغلال تلك الحواس لصالح العملية التعليمية.

٣ – مساندة كل فكرة سليمة ، أو رأى صائب صادر من الطفل ، لأن ذلك يشجعه على ممارسة التفكير والاستقلال فى الشخصية.

وبعد : فإن كل ما تقدم بالنسبة لدور الأباء والأمهات فى دعم المنهج المدرسى يتطلب ما يلى :

١ - التأكد أن التربية الدينية الإسلامية هى الأساس الأول والأخير لكل تربية ، وسند الفرد والجماعة . وتحرى الجانب الإسلامى أمر تقتضيه الفطرة ، والمصلحة العامة.

٢ - أن العائد من التربية الإسلامية ، ومراعاتها مع الأطفال هو الاستثمار الأمثل.

٣ - إقامة توازن بين ما يقدم للطفل من جانب مادى وجانب روحى ، انطلاقا من الفطرة البشرية ، والترسيخ أن لكل شئ حدوده وضوابطه ، بل وقيمته.

٤ - الاقتراب - ما أمكن - من المنهج المدرسى ، ومعرفة مضامينه المعرفية والقيمية وملاحظة ذلك فى سلوك الأبناء ، وتعريف الأبناء بما تم مراجعته منه.

٥ - اتصال الآباء، والأمهات بالمدرسة : مديرا، ومدرسا، و إداريا، وكل من له صلة بالمدرسة، لتستكمل عملية المراقبة للطفل، وانضباطه، والوقوف على قيمة التلمذة. وإذا كانت الملاحظة من أولى مبادئ العلم - فإن المعلومات عنها هى أقوى الأدلة فى اتخاذ القرار السليم.

٦ - الاقتناع التام بأن العملية التعليمية أكبر من أن يحقق الهدف منها طرف واحد، ولابد فيها من تنسيق التعاون بين كل المعنيين بها . وأول من يسعى إلى تحقيق هذا التنسيق هم الآباء والأمهات.

ويبدو أن العملية التعليمية الآن أصبحت بمثابة معركة حربية لا يمكن أن يحسمها سلاح واحد . لا الطيران وحدة ،ولا القوات البرية وحدها ، ولا المدفعية وحدها ، ولا الدفاع الجوى فقط ، ولا الإعلام فقط ؛ وإنما لا بد أن تشترك كل الأسلحة فى حسم المعركة . وبالتالى فإن وزارة التربية وحدها لا يمكنها القيام بالعملية التعليمية وحدها ، وكذلك، لا الأسرة وحدها ، ولا الدروس الخصوصية وحدها ، وإنما يتحقق الهدف منها من خلال مشاركة كل من له اهتمام بالعملية التعليمية. وهذا ما تمخض عنه مؤتمر تطوير مناهج التعليم الابتدائي المنعقد في القاهرة من : ١٨ -١٩٩٣/٢/٢٠م ، فقد أوضح عن عملية التغيير الشامل ، أنها تتطلب شركاء في هذا التغيير ؛ لأن العملية التعليمية وحدة متكاملة . وهم:

١ - **الأسرة :** وبالذات الأم ؛ إذ لابد من محو أميتها بمعناها المعاصر ، وهو الذي يتخطى الأمية الأبجدية ، إلى الوعى بمطالب العصر ومتطلباته من التربية.

٢ - **المعلم :** وهو قائد التغيير في المدرسة ؛ لأنه المنفذ الحقيقي للمنهج المدرسي الأمر الذي يتطلب إعداده وإعادة تدريبيه وتوجيهه ، المرة بعد المرة .

٣ - **القيادات التربوية :** وهي التي تعي الأهمية لعملية التطوير والتغيير ، لا لمجرد التغيير ولكن بهدف التجويد والإتقان ؛ انطلاقا من واقع العصر .

٤ - **التلميذ :** هو المستهدف من العملية التعليمية ؛ باعتبار أنه أمل الأمه ، وعليه يتوقف صناعة المستقبل للوطن.

٥ - **الجامعات والمعاهد العليا :** وهي التي تفرز النوعية المطلوبة للتدريس سواء من كلية التربية ، أو من الكليات الأخرى ، حتى لو لم يدخل مهنة التدريس.

٦ - **المجتمع:** بما فيه من ضوابط ومعايير تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى ؛ انطلاقا من أن التربية عملية اجتماعية بالدرجة الأولى.